حقوق الأخوة الإسلامية

الدكتور مسعود فلوسي

طبيعة العلاقات في المجتمع المسلم

يتميز المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات البشرية، بنوعية العلاقات التي تربط بين أفراده، تلك العلاقات التي لا تقوم على روابط النسب أو العرق أو البيئة أو القبيلة، وإنما تقوم على أساس المبدأ الذي يدين به هذا المجتمع، ألا وهو الإسلام والإيمان.

وعلى هذا، فإن المسلمين جميعا إخوة، بمقتضى كونهم مسلمين، مهما تباعدت بينهم الديار ومهما فرقتهم الأوطان ومهما تنوعت بهم الأعراق والأجناس، وهذا ما قرره الحق سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم، حيث قال جل جلاله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: 10)، وقال عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: 71).
وقد وصف الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام طبيعة العلاقة التي تربط بين المسلم وأخيه المسلم، فشبهها باللبنات التي لا يمكن لواحدة منها أن يعلو بها بنيان، ولكنها مجتمعة قد يُرفع بها بنيان سامق أو صرح شامخ. فعن أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا)، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ[1].

وهكذا، فالمؤمنون قلوبهم على بعضهم البعض، يفرح المؤمن لفرح أخيه ويحزن لحزنه، يسعد بما يسعده ويتألم مما يؤلمه، أجناسهم شتى وأعراقهم مختلفة وطبائعهم متباينة إلا أنهم جميعا على قلب رجل واحد. وهذا ما يؤكده حديث الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[2]. إنه لتصوير رائع ودقيق يكشف عن مكانة المؤمن في قلوب إخوانه المؤمنين، ويبرز نوعية المشاعر التي تجمع بين قلوب أهل الإسلام والإيمان، ويظهر صورة المجتمع حين تسوده العقيدة الإسلامية وتصبغ العلاقات بين أفراده وفئاته.

والحق أن هذه الصورة لا يمكن أن تتحقق، وهذه المشاعر الإيمانية لا يمكن أن توجد في الواقع إلا حين يؤدي كل مؤمن واجبه في إطار المجتمع المسلم، فيعيش في هذا المجتمع قائما بواجباته مراعيا لحقوق غيره، مدركا بأن الإسلام معاملة اجتماعية إلى جانب كونه اعتقادا قلبيا.

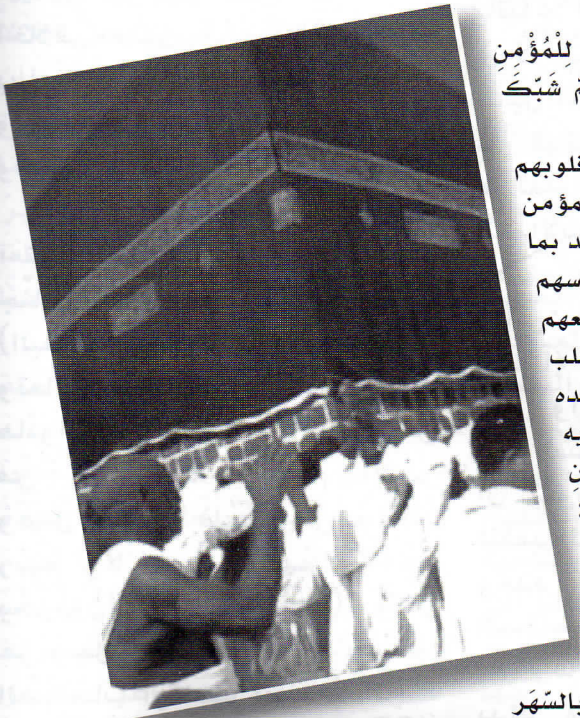

وحتى تتحقق الأخوة الإيمانية بين المسلمين ويكون المؤمنون كما يريدهم ربهم عز وجل إخوة متحابين متضامنين، وكما يريدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كأعضاء الجسد الواحد، فلابد أن يؤدي كلٌ منهم واجبه تجاه إخوانه فيحفظ لإخوانه حقوق الأخوة ويؤديها لهم كاملة غير منقوصة.

حديث جامع

وهذه الحقوق هي التي يجمعها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ)، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ)(3).

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد، إذ لم يترك خيرا من عمل الدنيا والآخرة إلا نبهنا إليه وحثنا على القيام به، مبتغيا لنا السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة.

وهو في هذا الحديث يحدد لنا أهم حقوق الأخوة الإسلامية، ويشير إلى المعاملات التي ينبغي أن تسود بين المؤمنين حتى تأتلف قلوبهم على المودة والمحبة، وتتوافق مشاعرهم على التراحم والتعاون فيما بينهم.

وهي حقوق بسيطة لا تتعب من يقوم بها ولا ترهقه في نفسه أو في ماله، ولكنها عظيمة في معناها عميقة في مدلولاتها شديدة التأثير في نفوس المؤمنين وفي ربط العلاقات بينهم. وهي على الرغم من بساطتها، إلا أننا كثيرا ما نستهين بها ولا نقوم بحقها ولا نؤديها لبعضنا البعض، مما جعل العلاقات بين المسلمين يسودها الفتور واللامبالاة، بل كثيرا ما تتعرض للانقطاع بسبب ما يثور بينهم من مشاحنات واختلافات. وهكذا، فبدلا من أن يعطي المسلمون المثل في التآخي والتعاون والتآزر في السراء والضراء، صاروا يعطون المثل في التحاسد والتباغض والتقاتل، كل ذلك بسبب استهانتهم بحقوق الأخوة الإسلامية وعدم حرصهم على القيام بها تجاه بعضهم البعض، ناسين أو متناسين أن هذه الحقوق جزء لا يتجزأ من الإيمان وركن ركين من أركان الإسلام.

الحق الأول:
إفشاء السلام

(إذا لقيته فسلم عليه): هذا أول حقوق الأخوة الإسلامية؛ أن يحيي المسلمون بعضهم بعضا بتحية الإسلام، وهي (السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته)، وأن يرد بعضهم على بعض التحية (وعليكم السلام ورحمة الله تعالى وبركاته).

والحق أن التحية بالسلام هي أفضل التحايا، لأن فيها إشعارا للمحيّى بأنه في أمان وسلام واطمئنان وأنه لا ينبغي أن يخشى أي خطر من أخيه ولا أن يتوجس في نفسه أي خيفة منه. وكذلك في رد السلام طمأنة للمحيِّي بأن من حيّاه يبادله نفس الشعور، ويؤكد له أنه هو الآخر لا يحمل له أي حقد أو ضغينة وليس له في قلبه إلا كل مودة ومحبة واحترام. وحين تنتشر التحية بالسلام في المجتمع المسلم تسوده الطمأنينة ويشعر الناس بالأمان على أنفسهم وأهليهم وأموالهم، فتسود بينهم مشاعر المودة والمحبة. عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَفْشُوا السَّلَامَ تَسْلَمُوا)(4).

لذلك كان إفشاء السلام من خير أعمال الإسلام، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: (تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ)(5).

والرجل المؤمن الذي يحرص على إفشاء السلام وبذله لكل من يتوسم فيه الإيمان والإسلام، عرفه أم لم يعرفه، تربطه به علاقة أم لا تربطه، تجمعه به معاملة أو لا تجمعه، هذا الرجل هو أحب الناس إلى الله عز وجل وأقربهم إليه، لأنه يبذل السلام مخلصا لله عز وجل غير منتظر ممن يسلم عليه جزاء ولا شكورا، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ)(6).

فالسلام هو رسول المحبة والرابط الذي يوثق مشاعر الأخوة الإيمانية بين المسلمين ويرتقي بهم إلى الدرجة التي يستحقون معها أن يكرمهم ربهم سبحانه وتعالى بجنته ورضوانه. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ)(7).

إن الابتداء بالسلام بين المسلمين سنة مؤكدة، ولكن رده فرض واجب لا يُعذر بتركه، فقد قال سبحانه وتعالى وقوله الحق: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ (النساء: 86).

وإنه لمؤسف حقا أن يشيع بين المسلمين التهاون في شأن السلام، فكثير منهم لا يلقون هذه التحية ويستعيضون عنها بتحايا الكفار معتبرين ذلك دليل التقدم والتطور والانفتاح على الآخرين، كما أن كثيرين منهم يستنكفون أن يردوا السلام إذا حُيُّوا به، معتبرين من يلقيه عليهم متخلفا أو متطرفا لا يستحق أن ترد تحيته.

لذلك لا عجب أن تنتشر بين صفوف المسلمين أسباب الشقاق، وأن تتقطع العلاقات بينهم، وأن تعشش الآفات الاجتماعية في المجتمع المسلم، حتى صار يطمع فيهم من لا يملك أن يدفع أبسط أنواع الأذى عن نفسه.

الحق الثاني: إجابة الدعوة

ما أكثر الولائم في مجتمع المسلمين، بمناسبة زواج أو نجاح أو ولادة أو ما إلى ذلك، ومن العادة أن يدعو المسلم بعض إخوانه المسلمين إلى وليمته، ويسره كثيرا أن يجيبوا دعوته ويدخلوا بيته ويتناولوا من طعامه، إنه حينئذ يشعر بأهميته في نفوسهم وقيمته في قلوبهم، فيزداد حبه لهم وتعلقه بهم.

والحق أن المسلم لا يدعو أخاه المسلم لدخول بيته وتناول طعامه إلا إذا كان يحبه ويحترمه ويحرص على مودته.

لذلك كانت إجابة الدعوة هي الأخرى دليلا على أن المدعو يبادل أخاه نفس المشاعر، ويكن له في قلبه مثل ما يكنه له أو أكثر، محبة ومودة واحتراما وتقديرا.

ولتمتين هذه الروابط وتوثيق هذه العلاقات بين المؤمنين، وترسيخا لمشاعر المودة والمحبة بينهم، حث رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين على أن يجيب بعضهم دعوة بعض، وشنع على من يرفض إجابة الدعوة أو يستهين بها، معتبرا ذلك سلوكا يغضب الله عز وجل ودليلا على نقص الإيمان في قلب المدعو، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْوَلِيمَةِ فَلْيَأْتِهَا)(8).

وعَنْ نَافِعٍ أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما كَانَ يَقُولُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُجِبْ عُرْسًا كَانَ أَوْ نَحْوَهُ)(9).

وعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ شَاءَ طَعِمَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ)(10).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: (شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى لَهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْمَسَاكِينُ وَمَنْ لَمْ يَأْتِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ)(11).

ذلك أنه كما أن إجابة الدعوة دليل المحبة والاحترام والتقدير، فإن عدم إجابتها بلا عذر ولا سبب معقول دليل على استهانة المؤمن بأخيه المؤمن وعدم شعوره بقيمته، بل واحتقاره له في نفسه. ولا شك أن شعورا كهذا محرم شرعا ومما يغضب الله عز وجل ويسخطه على عبده، وهو دليل على ضعف الإيمان في قلبه وعدم مراقبته لله عز وجل وعدم خشيته له.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ)(12).

إن المسلم المخلص لربه عز وجل، الصادق في إيمانه، لا يرى لنفسه فضلا على إخوانه المؤمنين، بل إنه يرى نفسه أقلهم شأنا وأدناهم مكانة وأضعفهم قوة، ولذلك فهو حريص على ما يربطه بهم، دائب فيما يقوي علاقته بإخوانه.

الحق الثالث: بذل النصيحة

لا يستطيع الإنسان أن يدرك وجوه الخير والفضل كلها بنفسه، ولذلك فهو بحاجة إلى غيره ممن يسترشد برأيه ويستهدي بتوجيهه، خاصة فيما لا علم له به أو ما ليس له به سابق خبرة.

ذلك أن الناس تتفاوت مداركهم وتتنوع مراتبهم في المعرفة بالحياة والخبرة بالواقع، وقد يكون لدى بعضهم من الاطلاع ما ليس لدى البعض الآخر، ولذلك يحتاج بعضهم إلى مشورة بعض فيما يتخذونه من قرارات أو ما يسلكونه في الحياة من مسالك.

والمؤمن بحاجة ماسة إلى إخوانه المؤمنين في كل ما يسلكه في الحياة وما يقرره من قرارات، ولذلك فهو يتوجه إلى إخوانه ممن يتوسم فيهم المعرفة والخبرة بطلب النصيحة، ملتمسا منهم التوجيه إلى أفضل السبل وأحسن المسالك وأفضل القرارات.

وحين يتوجه المؤمن إلى أخ له يطلب منه النصيحة، فذلك دليل على ثقته فيه ومحبته له وشعوره بأنه يبادله المودة والمحبة وبأنه سيخلص له في النصيحة ويبذل له ما يملك من رأي وخبرة ومعرفة بالواقع والحياة والمجتمع.

لذلك كان من واجب من طُلبت منه النصيحة أن يكون في مستوى الثقة التي وضعها فيه أخوه المؤمن، فيستفرغ وسعه وطاقته في تقليب الأمر على وجوهه، ويخلص في أن يشير عليه بما سيشير به على نفسه لو كان هو في مكانه، فالمؤمن الصادق هو من لا يميز أخاه عن نفسه، بل ربما بذل له ما لا يبذله لنفسه، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)(13).

إن نصيحة المؤمنين، والرغبة في تحقق الخير لهم، وكراهية أن يلحق بهم الشر والضرر، صفة من صفات المؤمنين وعلامة من علامات صدق الإيمان. كما أن عدم الرغبة في أن يلحق الخير بالمؤمنين والحرص على إلحاق الشر بهم، شعور لا ينطوي عليه قلب مؤمن صادق، لأن من كان قلبه متعلقا بهذه

المشاعر فلا شك أنه منافق كاذب في دعوى الإيمان.

عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الدِّينُ النَّصِيحَةُ)، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: (لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)[14].

وعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عنه قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ[15].

الحق الرابع: تشميت العاطس

المؤمن لا يستنكف أن يفعل الخير مهما كان قليلا، ومهما كان العمل الذي يقوم به بسيطا، المهم أن يكون في ذلك ما يرضي الله عز وجل ويفرح رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

ومن هذا القبيل؛ تشميت العاطس، فهو عمل بسيط جدا، إلا أن الشارع الحكيم طلبه من المؤمن وحثه على القيام به، وناط به الأجر والمثوبة.

والتشميت، معناه: الدعاء بالخير والبركة. وتشميت العاطس؛ الدعاء له أن لا يقف موقفا يُشمت به فيه. وأفضل صيغة للتشميت شرعا، أن يقال له: يرحمك الله.

وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تشميت العاطس، معتبرا ذلك حقا لكل مؤمن على أخيه المؤمن، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ. وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ الشَّيْطَانِ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ فَإِذَا قَالَ هَا ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ)[16].

ولا شك أن دعاء المسلم لأخيه بالرحمة هو من خير الدعاء، وهو دليل على أنه يحب له الخير ويرجو له الرحمة من الله عز وجل.

لكن الشرط الوحيد لتعلق هذا الحق بذمة المسلم تجاه أخيه؛ هو أن يسمعه يقول الحمد لله إذا عطس، فإذا لم يقل ذلك فلا يجب عليه أن يشمته، بل لا يسن ذلك أصلا، فعَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُوسَى وَهُوَ فِي بَيْتِ بِنْتِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ فَعَطَسْتُ فَلَمْ يُشَمِّتْنِي، وَعَطَسَتْ فَشَمَّتَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا، فَلَمَّا جَاءَهَا قَالَتْ: عَطَسَ عِنْدَكَ ابْنِي فَلَمْ تُشَمِّتْهُ وَعَطَسَتْ فَشَمَّتَّهَا، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَكِ عَطَسَ فَلَمْ يَحْمَدْ اللَّهَ فَلَمْ أُشَمِّتْهُ وَعَطَسَتْ فَحَمِدَتْ اللَّهَ فَشَمَّتُّهَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتُوهُ فَإِنْ لَمْ يَحْمَدْ اللَّهَ فَلَا تُشَمِّتُوهُ)[17].

غير أن واجب النصيحة يقتضي من المؤمن أن ينبه أخاه إلى ضرورة حمد الله عز وجل حتى يُشَمّتَ فينال بذلك بركة دعاء إخوانه، وذلك لأنه ليس كل من لم يحمد الله عز وجل بعد العطاس فعل ذلك متعمدا، فلعله نسي أو لا يعرف ذلك بالمرة.

وقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العبارات التي ينبغي أن يتبادلها المؤمنون عند عطاس أحدهم وتشميت الآخرين له، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمْ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ)[18].

الحق الخامس: عيادة المريض

المرض حالة ضعف طارئة تنتاب الإنسان، وتجعله يشعر بالعجز وعدم القدرة على فعل ما كان يفعله حين كان بموفور صحته وكامل عافيته.

ولذلك فإن المريض عادة ما يحتاج إلى من يساعده ويعينه في قضاء حوائجه. وقد يكون هذا المريض فقيرا لا يجد مالا يشتري به الدواء لنفسه، أو لا يجد ما يعول به أهله وعياله إن أوقفه المرض عن عمله.

لذلك كانت عيادة المريض من أهم الحقوق التي ينبغي على المسلم أن يؤديها لإخوانه المسلمين، وهي عند جمهور العلماء سنة مؤكدة، وقيل بل واجبة مرة واحدة على الأقل.

ذلك أن عيادة المريض من شأنها أن تشعره بأهميته عند إخوانه وتجعله يحس أن مرضه لم يسقط من مكانته ولم يُذهِبْ محبته من نفوس إخوانه، ثم إن عيادة المريض تتيح لمن يزوره أن يطلع على أحواله ويعرف ما يحتاج إليه، فلعله بحاجة إلى المال فيعينه به، ولعله يحتاج إلى من يقضي له حاجة من حوائج الدنيا فيقضيها له.

المسلمون جميعا إخوة، بمقتضى كونهم مسلمين، مهما تباعدت بينهم الديار ومهما فرقتهم الأوطان ومهما تنوعت بهم الأعراق والأجناس

لذلك أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيادة المريض وعدم التأخر عن تفقد أحواله، فعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُودُوا الْمَرِيضَ وَفُكُّوا الْعَانِيَ)[19]، والعاني هو الأسير.

إن عيادة المريض إلى جانب ما تتركه في نفسه من أثر طيب، وما تتيحه من توثيق لروابط المودة والمحبة بين المريض وإخوانه المؤمنين الذين لا يتأخرون عن عيادته وتفقد أحواله، إلى جانب ذلك لها أهمية عظيمة في الدين، وقد أعد الله عز وجل لمن يقوم بحق عيادة المريض أجرا عظيما وثوابا جزيلا، قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلاَّ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ)[20].

وعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ)[21].

وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل من نفسه، فكان يزور من يمرض من أصحابه، ويدعو لهم بالشفاء ويطيب خواطرهم ويوصيهم بتقوى الله عز وجل والصبر على ما يجدونه من آلام، رغبة فيما عند الله من الأجر والثواب.

عَنْ عَائِشَةَ بِنْتِ سَعْدٍ أَنَّ أَبَاهَا قَالَ اشْتَكَيْتُ بِمَكَّةَ فَجَاءَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِي ثُمَّ مَسَحَ صَدْرِي وَبَطْنِي ثُمَّ قَالَ: (اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا وَأَتْمِمْ لَهُ هِجْرَتَهُ)[22].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ فَقَالَ لَهُ: (لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ)[23].

ولا شك أن المسلم الذي لا يؤدي لإخوانه هذا الحق، ولا يعيره أي اهتمام، إنما يدل بذلك على نقص إيمانه وضعف نداء الأخوة الإيمانية في قلبه، وهو لا محالة متعرض للوم من قبل الشارع الحكيم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟)[24].

الحق السادس:
تشييع الجنازة

إن حق المسلم على أخيه لا يتوقف عند حدود العلاقات الدنيوية، والروابط بينهما ليست روابط مصلحية خاضعة للظروف والمتغيرات، إنها علاقة حميمة لحمتها وسداها طاعة الله عز وجل والمقصد منها مرضاته سبحانه وتعالى، ولذلك فإن علاقة المسلم بإخوانه لا تنقطع بموت أحدهم، إنها تبقى ممتدة مثمرة موصولة حتى بعد الموت.

وكما أن المؤمن بحاجة إلى أخيه وهو يعيش في هذه الدنيا، فهو كذلك بحاجة إليه وهو يغادر هذه الحياة ويرتحل إلى ربه عز وجل، إنه بحاجة إليه وهو يعاني سكرات الموت إذ المطلوب منه أن يحرص على تلقينه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)[25].

وهو محتاج إليه بعد أن يفارق الحياة، وذلك عند تجهيزه وتكفينه.

وهو محتاج إلى دعائه له عند الصلاة عليه، فيسأل الله عز وجل له الرحمة والمغفرة والتجاوز عن ذنوبه وخطاياه. فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ)[26]. وعن عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه يَقُولُ: "صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَنَازَةٍ فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَنَقِّهِ مِنْ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنْ الدَّنَسِ وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ)، قَالَ: حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذَلِكَ الْمَيِّتَ"[27].

ثم هو محتاج إليه بعد أن يُشَيِّعَ إلى مثواه الأخير، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمْ اللَّهُ فِيهِ)[28].. وفي اتباع الجنازة خير عظيم وثواب جزيل عند الله عز وجل، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنْ تَبِعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ احْتِسَابًا وَكَانَ مَعَهَا حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْ دَفْنِهَا فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنْ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ. وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا وَرَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ)[29].

وكذلك هو محتاج إليه بعد أن يتم دفنه، إذ المطلوب منه أن يسأل الله عز وجل له الثبات عند السؤال. فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ: (اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ)[30].